جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2
كلية الآداب واللغات
قسم الترجمة
مادة التدعيم اللغوي عربي

علم الدلالة

1- تعريف الدّلالة:

يُقصد بالدّلالة لغةً الإرشاد إلى الشّيء والإبانة عنه، واشتُقّت هذه الكلمة بالأصل من الفعل (دَلَلَ) بمعنى استيضاح الأمر بدليل نفهمه، والدّليل: ما يُستدَلّ به، فدلّه على الشّارع؛ أيّ يدلّه دِلالة ودَلالة.
أمّا اصطلاحاً فهو العِلم الذي يبحث في "المعنى"، ونظرياته مع كيفيّة جعل المُفردات ذات معنى، كما تُعرَّف الدّلالة بأنّها استخدام المُفردات استخداماً مُعيّناً ضمن نَسَق لُغويّ مع مُفردات أخرى مع وُجود علاقات بينهم، كذلك ذُكِر في كتاب (التّعريفات) لصاحبه الجرجانيّ تعريفٌ للدّلالة أشار إليه السّيد الشّريف قائلاً: "الدّلالة هي كَون الشّيء بحالة يلزم مِن العلم به بشيء آخر، والأول هو الدّال، والثّاني هو المدلول".

2- علم الدلالة في اللغة العربية:

إنّ الدلالة لغةً تعني الإرشاد إلى الشيء وإبانته عنه واصطلاحاً هو العلم الذي يبحث في المعنى، وكيفية نشأة المفردات وتحديد دلالاتها، ودراسة العلاقات بين الرموز اللغوية وغير اللغوية، وعليه، هو العلم الذي يدرس المعنى ودلالات الألفاظ والتراكيب، وأهمية هذا العلم في اللغة العربية تكمن في قدرته على تحليل العلاقات بين المفردات والبحث في نشأة المعنى وتغيره عبر الزمن. ويتمثل برنامج هذا العلم في دراسة النظريات الدلالية المختلفة، مثل نظرية الحقول الدلالية ونظرية التحليل المكوناتي، إضافة إلى دراسة أنواع الدلالات المختلفة كالترادف والاشتراك اللفظي والأضداد والتضاد، وكل ذلك لفهم كيفية استنباط المعاني وتأويل النصوص.

3- نشأة الدلالة وتطورها:

يمكِنُ الوقوفُ على مرامي هذه القَضيَّةِ من خلالِ النِّقاطِ الآتيةِ:

أوَّلًا: الدَّافِعُ نحوَ استخلاصِ عِلمِ الدَّلالةِ من عُلومِ اللُّغةِ الأُخرى:

إنَّ نشأةَ عِلمِ الدَّلالةِ لم تكُنْ نشأةً مستقِلَّةً عن علومِ اللُّغةِ الأُخرى، إنما كان يُعَدُّ هذا العِلمُ جُزءًا لصيقًا بعِلمِ اللِّسانيَّاتِ الذي كان يهتَمُّ بدراسةِ اللِّسانِ البَشَريِّ، إلَّا أنَّ عدَمَ اهتمامِ عُلَماءِ اللِّسانيَّاتِ بدَلالةِ الكَلِماتِ -كما أشار إلى ذلك (بريال)- هو الذي كان دافعًا لبعضِ العُلَماءِ اللُّغَويِّين إلى البحثِ عن مجالٍ عِلميٍّ يضمُّ بحثًا في جوهَرِ الكَلِماتِ ودَلالاتِها؛ لكي يحدِّدوا ضِمْنَه موضوعاتِه ومعاييرَه وقواعِدَه ومناهِجَه وأدواتِه. ففي حُدودِ القَرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ الميلاديِّ تشعَّبت الدِّراساتُ اللُّغَويَّةُ، فظهرت النَّظريَّاتُ اللِّسانيَّةُ، وتعدَّدت المناهِجُ، فبرزت (الفونولوجيا) التي اهتمَّت بدراسةِ وظائِفِ الأصواتِ إلى جانِبِ عِلمِ (الفونتيك) الذي يهتَمُّ

بدراسةِ الأصواتِ المجرَّدةِ، كما برزت (الأتيمولوجيا) التي اعتنت بدراسةِ الاشتقاقاتِ في اللُّغةِ، ثمَّ عِلمُ (الأبنيةِ والتراكيبِ) الذي يختصُّ بدراسةِ الجانِبِ النَّحْويِّ، وربْطِه بالجانِبِ الدَّلاليِّ في بناءِ الجملةِ.

وبَعدَ ذلك توفَّرَ لعِلمِ الدَّلالةِ وُجودٌ مستَقِلٌّ، وإن بَقِيَت تربِطُه بعلومِ اللُّغةِ الأُخرى –وخاصَّةً الألسنيَّةَ– وشائجُ تتجلَّى بصورةٍ واضحةٍ في مجالِ البحثِ؛ حيثُ يَبرُزُ التقاطُعُ بَينَ هذه العلومِ مُجتَمِعةً، ولكِنْ ما يميِّزُ البحثَ الدَّلاليَّ هو عُمقُ الدِّراسةِ في معنى الكَلِماتِ والتراكيبِ متَّخِذًا في ذلك منهجًا خاصًّا يتوخَّى المعياريَّةَ في اللُّغةِ والكلامِ. والعلومُ إذا اختلفت في المنهَجِ تباينت في الهُوِيَّةِ، وقِوامُ العُلومِ ليس فحَسْبُ مواضيعَ بحثِها، وإنَّما يستقيمُ العِلمُ بموضوعٍ ومنهَجٍ .

ثانيًا: السِّياقُ التَّاريخيُّ لنشأةِ وتطوُّرِ عِلمِ الدَّلالةِ

إذا تتبَّعْنا السِّياقَ التَّاريخيَّ وجَدْنا أنَّ دراسةَ المعنى في اللُّغةِ قد بدأت منذ أن حَصَلَ للإنسانِ وَعيٌ لُغَويٌّ ؛ فاللُّغةُ قد جذبت اهتمامَ المُفكِّرين منذُ زَمَنٍ بعيدٍ، ولمَ لا؟ وهي عليها مدارُ حياةِ مُجتَمَعاتِهم الفِكريَّةِ والاجتماعيَّةِ، وبها قِوامُ فَهمِ كتُبِهم المقدَّسةِ، وكان من جملةِ الآراءِ التي أوردها العُلَماءُ حولَ نشأةِ اللُّغةِ قَولُهم بوجودِ عَلاقةٍ ضروريَّةٍ بَينَ اللَّفظِ والمعنى، شبيهةٍ بالعَلاقةِ اللُّزوميَّةِ بَينَ النَّارِ والدُّخَانِ . فقد كان هذا مع عُلَماءِ اللُّغةِ الهنودِ؛ حيث كان كتابُهم الدِّينيُّ (الفيدا) مَنبَعَ الدِّراساتِ اللُّغَويَّةِ، كما كان لليُونانِ أثَرُهم البيِّنُ في بَلْورةِ مفاهيمَ لها صلةٌ وثيقةٌ بعِلمِ الدَّلالةِ؛ فلقد حاور أفلاطون أستاذَه سُقْراطَ حولَ موضوعِ العَلاقةِ بَينَ اللَّفظِ ومعناه، وكان أفلاطون يميلُ إلى القولِ بالعَلاقةِ الطَّبيعيَّةِ بَينَ الدَّالِّ ومدلولِه، وأمَّا أَرِسْطو فكان يقولُ باصطِلاحيَّةِ العَلاقةِ، وذهَب إلى تقسيمِ الكلامِ إلى كلامٍ خارجيٍّ وكلامٍ داخليٍّ في النَّفسِ، فضلًا عن تمييزِه بَينَ الصَّوتِ والمعنى، معتَبِرًا المعنى متطابِقًا مع التصَوُّرِ الذي يحمِلُه العَقلُ عنه.

أمَّا المفكِّرون العَرَبُ فقد خصَّصوا للبُحوثِ اللُّغَويَّةِ حَيِّزًا واسعًا في إنتاجِهم الموسوعيِّ الذي يَضُمُّ إلى جانِبِ النَّظَريَّةِ –كالمَنطِقِ والفَلسَفةِ– علومًا لغويَّةً قد مسَّت كُلَّ جوانِبِ الفِكرِ عِندَهم، سواءٌ تعلَّق الأمرُ بالعُلومِ الشَّرعيَّةِ؛ كأصولِ الفِقهِ، والفقهِ، والحديثِ، والتَّفسيرِ، أو عُلومِ العربيَّةِ؛ كالنَّحوِ، والصَّرفِ، والبلاغةِ، بل إنَّهم كانوا يَعُدُّون علومَ العربيَّةِ نَفسَها وتعلُّمَها من العُلومِ الشَّرعيَّةِ؛ ولذلك تفاعلَت الدِّراساتُ اللُّغَويَّةُ مع الدِّراساتِ الفِقهيَّةِ، وبنى اللُّغَويُّون أحكامَهم على أصولِ دراسةِ القرآنِ والحديثِ والقراءاتِ، وقالوا في أمورِ اللُّغةِ بالسَّماعِ والقياسِ، والإجماعِ والاستصحابِ، تمامًا كما فَعَل الفُقَهاءُ في معالجةِ أمورِ عُلومِ الدِّينِ .

ثالثًا: الدَّوافِعُ الدِّينيَّةُ عِندَ المُسلِمين نحوَ رعايةِ عُلومِ اللُّغةِ عامَّةً وعِلمِ الدَّلالةِ خاصَّةً:

لم يكُنْ حِرصُ العَرَبِ على العربيَّةِ وتشدُّدُهم في المحافظةِ عليها إلَّا رغبةً منهم في حِفظِ لُغةِ القرآنِ؛ ليظَلَّ مفهومًا مقروءًا متدارَسًا على مدى الدَّهرِ؛ فزاد الإقبالُ على دراسةِ القرآنِ واللُّغةِ والشِّعرِ، وبدأت حركةٌ كُبرى لجمعِ اللُّغةِ من البوادي، ورحَل من أجلِ ذلك العُلَماءُ، وعادوا بما اجتمَع لديهم من كلامِ العَرَبِ، حتى امتلأت به صُحُفُهم وخزائِنُهم، وهكذا كان القرآنُ دافعًا لكثيرٍ من العُلَماءِ للاطِّلاعِ على اللُّغةِ، وتحمُّلِ المشاقِّ في سبيلِ جمعِها، ومعرفةِ المزيدِ من أسرارِها، وتحديدِ معاني مفرداتِها، والإلمامِ بفُنونِها المتنوِّعةِ . فالعَربيَّةُ لها ظَرفٌ لم يَتوفَّر لأيِّ لُغةٍ مِن لُغاتِ العالَمِ؛ ذلك أنَّها ارتَبطت بالقُرآنِ منذُ أربعةَ عشَرَ قَرنًا، ودُوِّنت

بها العُلومُ الإسلاميَّةُ الَّتي كان مِحوَرُها هو القُرآنَ الكَريمَ، وقد كفَل اللهُ له الحِفظَ ما دام يَحفَظُ دِينَه، فقال عزَّ وجلَّ :﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: 9]، ولولا أنَّ اللهَ شرَّفها فأنزَلَ بها كِتابَه لأمسَتِ العَربيَّةُ الفُصحى لُغةً أثَريَّةً تُشبِهُ اللَّاتينيَّةَ، ولَسادَتِ اللَّهَجاتُ العَربيَّةُ المُختلِفةُ، وازدادت على مرِّ الزَّمانِ بُعدًا عنِ الأصلِ الَّذي انسَلخت منه .

وكما أنَّ اللُّغةَ تَخضَعُ لحَياةِ الأمَّةِ، وتَنمو بنُموِّها، وتَتطوَّرُ بتَطوُّرِها، فيَنشأُ مِن هذا النُّموِّ تَغيُّرٌ واختِلافٌ بين لُغةِ عَصرٍ ولُغةِ العَصرِ الَّذي سبقَه- فألفاظُ الشَّريعةِ كذلك؛ لم تَتكوَّن مرَّةً واحِدةً، بل مرَّت بأطوارٍ مُتعدِّدةٍ، وهي في نَشأتِها مُصاحِبةٌ للتَّنزيلِ، ثمَّ أخَذت في نِطاقِ التَّوسُّعِ والنُّمُوِّ .

وقد بدأ التَّحوُّطُ على القُرآنِ فيما وضَعه أميرُ المُؤمنينَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ مِن مَعالِمِ النَّحوِ، حينَما دخَل عليه أبو الأسوَدِ الدُّؤَليُّ فوجَد في يدِه رُقعةً، فسألَه عنها، فقال أميرُ المُؤمِنينَ: إنِّي تَأمَّلتُ كَلامَ العَربِ فوَجدتُه قد فسَد بمُخالَطةِ هذه الأعاجِمِ، فأردتُ أن أضَعَ شيئًا يَرجِعون إليه، ويَعتمِدون عليه، وإذا الرُّقعةُ فيها مَبادِئُ هذا العِلمِ، وجاء فيها: الكَلامُ كلُّه: اسمٌ وفِعلٌ وحَرفٌ؛ فالاسمُ: ما أنبأ عن مُسمًّى، والفِعلُ: ما أنبأ عن حَرَكةِ المُسمَّى، والحَرفُ: ما أنبأ عن مَعنًى ليس باسمٍ ولا فِعلٍ، وهذه إشارَةٌ أُولى، وتَحديدٌ دَقيقٌ لِهذه الأقسامِ، وفي النَّصِّ إشارَةٌ إلى أنَّ اللَّحنَ في قِراءَةِ القُرآنِ كان هو السَّببَ المُباشِرَ لوَضعِ النَّحوِ العَربيِّ لضَبطِ قِراءَةِ القُرآنِ .

وقد قام أبو الأسوَدِ بنَقطِ كَلِماتِ المُصحَفِ الشَّريفِ عندَما فسَدتِ السَّليقةُ العَربيَّةُ، فوضَع شيئًا يَقيسُ عليه العَربُ كَلامَهم؛ فكان أوَّلَ مَن أسَّس العَربيَّةَ، وأنهَج سَبيلَها، ووضَع قِياسَها ... ذلك حين اضطَرب كَلامُ العَربِ .

رابعًا: اهتِمامُ الأُصوليِّينَ والفُقَهاءِ المُسلِمين بعِلمِ الدَّلالةِ

لمَّا كانت علومُ الدِّينِ تَهدُفُ إلى استنباطِ الأحكامِ الفِقهيَّةِ، ووَضْعِ القواعِدِ الأُصوليَّةِ للفِقهِ؛ اهتَمَّ العُلَماءُ بدلالةِ الألفاظِ والتَّراكيبِ، وتوسَّعوا في فَهمِ معاني نصوصِ القرآنِ والحديثِ، واحتاج ذلك منهم إلى وضعِ أُسُسٍ نظريَّةٍ؛ فالأبحاثُ الدَّلاليَّةُ في الفِكرِ العَرَبيِّ التُّراثيِّ لا يمكِنُ حَصرُها في حَقلٍ مُعَيَّنٍ من الإنتاجِ الفِكريِّ، بل هي تتوزَّعُ لتشمَلَ مساحةً شاسِعةً من العُلومِ، يتحاوَرُ فيها المَنطِقُ وعلومُ المُناظَرةِ وأصولُ الفِقهِ والتفسيرُ والنَّقدُ الأدبيُّ والبيانُ .

وكان البَحثُ في دَلالاتِ كَلِماتِ اللُّغةِ العَربيَّةِ ممَّا تَنبَّهَ إليه اللُّغويُّون القُدَماءُ، يَهدي إلى ذلك الأعمالُ العِلميَّةُ المُبكِّرةُ عندَهم، وما ضَبطُ المُصحَفِ الشَّريفِ بالشَّكلِ إلَّا دَليلٌ على ذلك؛ فتَغييرُ ضَبطِ الكَلِمةِ يُؤدِّي إلى تَغييرِ وَظيفَتِها، وهذا يَترتَّبُ عليه تَغييرٌ في مَعناها، كما أنَّ البَحثَ في عُلومِ العَربيَّةِ لازِمٌ في فَهمِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، ولَقِي الدَّرسُ الدَّلاليُّ اهتِمامًا بالِغًا منذُ بِدايةِ البَحثِ اللُّغويِّ عند العَربِ؛ لأهمِّيَّتِه في مَعرِفةِ دَلالاتِ الألفاظِ .

ولقد عَقَد الأصوليُّون أبوابًا للدَّلالاتِ في كُتُبِهم، وتناولت موضوعاتٍ؛ مِثل: دلالةِ اللفَّظِ، دلالةِ المنطوقِ والمفهومِ، تقسيمِ اللَّفظِ من حيثُ الظُّهورُ والخفاءُ، والعمومُ والخُصوصُ، والتَّخصيصُ والتَّقييدُ.

أمَّا الشَّافِعيُّ فإنَّه كان يَدعو إلى ضَرورةِ الإلمامِ بالعَربيَّةِ؛ لأنَّ أصحابَ العَربيَّةِ أخلَقُ بتَأويلِ مَعاني القُرآنِ والسُّنَّةِ وفَهمِها، وأصحابُ العَربيَّةِ جِنُّ الإنسِ؛ يُبصِرون ما لا يُبصِرُ غيرُهم ، وقد كان ذا اطِّلاعٍ واسعٍ بعِلمِ العَربيَّةِ، وطُرقِ تَأديةِ المَعاني مِن غيرِ لَبسٍ، وهذا ظاهِرٌ مِنَ المَباحِثِ الدَّلاليَّةِ الَّتي أثارَها في كِتابِه: الرِّسالَة، ومِن ذلك البابُ الَّذي عقَده عنِ الاختِلافِ بين الأحادِيثِ في رِسالَتِه، مُثبِتًا أنَّ اتِّفاقَ العِباراتِ لا يَعني اتِّفاقَ المَدلولاتِ، يقولُ: (ويَسُنُّ بلفظٍ مَخرَجُه عامٌّ جُملةً بتَحريمِ شيءٍ أو بتَحليلِه، ويَسُنُّ في غيرِه خِلافَ الجُملةِ؛ فيُستَدَلُّ على أنَّه لم يُرِد بما حرَّم ما أحَلَّ، ولا بما أحَلَّ ما حرَّم.

خامسًا: اهتِماماتُ البلاغيِّينَ

التي تمثَّلت في دراسةِ الحقيقةِ والمجازِ، وفي دراسةِ كثيرٍ من الأساليبِ كالأمرِ والنَّهي.. وفي نظريَّةِ النَّظْمِ للجُرْجانيِّ .أمَّا قضايا الترادُفِ والأضدادِ والمُشتَرَكِ اللَّفظي، فكانت أيضًا موضِعَ اهتمامٍ وخِلافٍ؛ قال بعضُهم بوجودِ الترادُفِ على أساسِ اتِّفاقِ المعنى بَينَ كلمتَينِ، وأنكر بعضُهم ذلك بوجودِ الأضدادِ بأن تدُلَّ الكَلِمةُ الواحِدةُ على الشَّيءِ ونَقيضِه؛ كدَلالةِ (الجَونِ على الأبيضِ والأسوَدِ)، وقال بعضُهم بوجودِ المُشتَرَكِ، وأنكر بعضُهم ذلك .

'ولقد التَفَت علماؤنا إلى أهمِّيَّةِ السِّياقِ في تحديدِ الدَّلالةِ ودورِها في الحَدَثِ اللُّغَويِّ، فلا نجِدُ أُصوليًّا ولا لُغَويًّا إلا وقد أشار إلى ذلك عند كلامِه عن الدَّلالةِ .

سادسًا: عِنايةُ المتكَلِّمين والفلاسِفةِ بعِلمِ الدَّلالةِ

فقد اعتنَى الفارابي بالألفاظِ، فصنَّفَها ووضَع لها عِلمًا خاصًّا سمَّاه: (عِلمَ الألفاظِ)، الذَّي عدَّه مِن فُروعِ عُلومِ اللِّسانِ الَّتي قسَّمها إلى سَبعةِ أقسامٍ، وهي: عِلمُ الألفاظِ المُفرَدةِ، وعِلمُ الألفاظِ المُركَّبةِ، وعِلمُ قَوانينِ الألفاظِ عندَما تكونُ مُفرَدةً، وقَوانينُ الألفاظِ عندَما تُركَّبُ، وقَوانينُ تَصحيحِ الكِتابةِ، وقَوانينُ تَصحيحِ القِراءةِ، وقَوانينُ الشِّعرِ .

ودِراسةُ الفارابي للألفاظِ لا يُمكِنُ تَصوُّرُها بمَعزِلٍ عنِ الدَّلالةِ، فلا وُجودَ لألفاظٍ فارِغةِ الدَّلالةِ في عِلمَيِ المَنطِقِ والفَلسفةِ، إنَّما الألفاظُ ودَلالاتُها وَجهانِ لعُملةٍ واحِدةٍ، وقد قسَّم الفارابي الألفاظَ الدَّالَّةَ إلى ثَلاثةِ أقسامٍ: الاسمُ والفِعلُ والأداةُ –أيِ: الحَرفُ– وإذا كانت دَلالةُ الاسمِ والفِعلِ واضِحةً، فإنَّ دَلالةَ الأداةِ قد يَكتَنِفُها غُموضٌ، ويَشرَحُ الفارابي في كِتابِه: (الحُروف) هذه المَسألةَ، ويُفيضُ البَحثَ فيها؛ ففي مَقامِ حَصرِه لاستِخداماتِ الحَرفِ (ما) يقولُ: يُستعمَلُ (ما) في السُّؤالِ عن شيءٍ مُفرَدٍ؛ فالحُروفُ ليست لها دَلالةٌ في ذاتِها، إنَّما قِيمَتُها الدَّلاليَّةُ فيما تُشِيرُ إليه، واللَّفظُ لا يدُلُّ على ذاتِه، إنَّما يدُلُّ على المُحتوى الفِكريِّ الَّذي في الذِّهنِ، وفي ذاتِ الإطارِ يَشرَحُ الفارابي استِعمالاتِ لفظِ (مَوجود) فيقولُ: (المَوجودُ لفظٌ مُشترَكٌ يُقالُ على جَميعِ المَقولاتِ، والأفضَلُ أن يُقالَ: إنَّه اسمٌ لجِنسٍ مِنَ الأجناسِ العاليةِ، على أنَّه ليست له دَلالةٌ على ذاتِه.

كما يُحدِّدُ ابنُ سينا ماهيَّةَ اللَّفظِ المُفرَدِ بالنَّظَرِ إلى دَلالتِه، فما كانت دَلالتُه واحِدةً لا تَتجزَّأُ فهو اللَّفظُ المُفرَدُ،

بحيثُ إذا تَجزَّأتْ دَلالتُه لم تُفصِحْ عنه، وتَحوَّلت إلى دالٍّ غيرِه. ويَشرَحُ ابنُ سِينا هذا بقولِه: (اللَّفظُ الدَّالُّ المُفرَدُ هو اللَّفظُ الَّذي لا يُريدُ الدَّالُّ به على مَعناه أن يدُلَّ بجُزءٍ منه البتَّةَ على شيءٍ.

وتناوَل ابنُ سِينا تعيينَ العَلاقةِ بَينَ اللَّفظِ والمعنى من جوانِبَ ثلاثةٍ:

دَلالةُ المُطابَقةِ والتَّضمُّنِ والالتِزامِ؛ فإذا كان الانتِقالُ بواسِطةِ العَقلِ مِنَ الدَّالِّ إلى مَدلولِه، لعِلمِه بعَلاقةِ الوَضعِ، فكلَّما تَحقَّق مَسموعُ اسمٍ ارتَسم في الخَيالِ مَدلولُه؛ فالدَّلالةُ عندئذٍ دَلالةٌ وَضعيَّةٌ، تَمنَعُ مِن وُقوعِ الالتِباسِ بين الدَّلالاتِ الثَّلاثِ؛ لأنَّه قد يُطلَقُ اللَّفظُ ولا يُعنى به مَدلولُه المُطابِقُ له، كما إذا أطلَقنا لفظَ: (الشَّمسِ) وعَنَينا به (الجِرمَ) كانتِ الدَّلالةُ بينَهما مُطابِقةً، وإذا عَنَينا به (الضَّوءَ) كانتِ العَلاقةُ بينَهما تَضمُّنًا)، وتدخُّلُ الوَضعِ وتَوسُّطُ العُرفِ الأصليِّ يَمنَعُ انتِقاضَ الدَّلالاتِ بعضِها ببعضٍ.

ويُورِدُ ابنُ سِينا أمثِلةً يُوضِّح فيها أقسامَ الدَّلالةِ الثَّلاثةَ؛ فدَلالةُ المُطابَقةِ هي التَّطابُقُ الحاصِلُ بين اللَّفظِ وما يدُلُّ عليه، كالإنسانِ؛ فإنَّه يدُلُّ على الحَيَوانِ النَّاطِقِ.

أمَّا دَلالةُ التَّضمُّنِ، فهي ما يَتضمَّنُه اللَّفظُ مِن مَعانٍ جُزئيَّةٍ تَدخُلُ في ماهيَّتِه.

أمَّا دَلالةُ الالتِزامِ، فهي تَحتاجُ إلى أمرٍ خارِجيٍّ لعَقدِ الصِّلةِ بين الدَّالِّ ولازِمِه، ويقولُ ابنُ سِينا مُعرِّفًا ذلك: (أصنافُ دَلالةِ اللَّفظِ على المَعنى ثَلاثةٌ: دَلالةُ المُطابَقةِ، ودَلالةُ التَّضمُّنِ، ودَلالةُ الالتِزامِ)، وهي دَلالاتٌ تَجمَعُ الأنْساقَ كلَّها.

ثمَّ نَجِدُ الغَزاليَّ يُقسِّمُ الألفاظَ مِن حيثُ إفرادُها وتَركيبُها إلى ثَلاثةِ أقسامٍ: ألفاظٌ مُفرَدةٌ، ومُركَّبةٌ ناقِصةٌ، ومُركَّبةٌ تامَّةٌ؛ فالمُفرَدُ عنده لا يَخرُجُ عن تَصوُّرِ مَن سبَقه مِنَ العُلَماءِ، كالفارابي وابنِ سِينا، في قولِه: (المُفرَدُ وهو الَّذي لا يُرادُ بالجُزءِ منه دَلالةٌ على شيءٍ أصلًا حين هو جُزؤُه؛ كقولِك: عِيسى وإنسان، فإنَّ جُزأَي عِيسى؛ وهُما: (عي وسا)، وجُزأَي إنسان؛ وهما: (إن وسان)، ما يُرادُ بشيءٍ منهما الدَّلالةُ على شيءٍ أصلًا.

ومِن خلالِ ما سبَق يتبَيَّنُ لنا أنَّ البحثَ في مدلولاتِ ألفاظِ اللُّغةِ يَضرِبُ بجُذورِه العتيقةِ إلى أعماقِ تاريخِ اللُّغةِ ذاتِها، وتنزُّلُ القرآنِ باللِّسانِ العَرَبيِّ المُبينِ كان نقطةً فاصلةً، ونَقلةً نوعيَّةً في تاريخِ عُلومِ هذه اللُّغةِ، ومِن بَينِها عِلمُ الدَّلالةِ الذي ازدهر ونما وتطوَّر على أيدي عُلَماءِ المُسلِمين على اختلافِ عُلومِهم وفنونِهم التي تخدُمُ جميعُها نصوصَ الوَحيِ الشَّريفِ؛ تفسيرًا وتأويلًا وتقعيدًا واستنباطًا، وكلُّ ذلك من خلالِ دَلالاتِ الألفاظِ والتَّراكيبِ.

4- علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى:

يرتبطُ عِلمُ الدّلالة مع مجموعة من العلوم المُختلفة، ومنها (علم الرُّموز) الذي يُعدّ عِلم الدّلالة جُزءاً منه، كما ارتبط علم (المنطق والفلسفة) ارتباطاً وثيقاً بعِلم الدّلالة أكثر من غيره من عُلوم المعرفة الأخرى، كذلك (عِلم النّفس)، فقد ارتبط بعِلم الدّلالة من خِلال بحث عُلمائهم في الطُّرق المُختلفة لإدراك البشر للكلمات مع تحديد دلالتها. ويجب الإشارة إلى أنّ عِلم الدّلالة لا ينفصلُ عن أيّ عِلم من عُلوم اللّغة، بل وتشترك معه في الجوانب الصّرفيّة، والنّحويّة، والصّوتيّة.[٢٦] علاقة عِلم الدّلالة بعِلم اللّسانيّات إنّ لعِلم الدّلالة اتّصالاً قويّاً في عِلم اللّسانيّات الذي يُعنى بدراسة لسان البشر، إلّا أنّ هذا العِلم لم يتطرّق في دراسته للسان البشريّ

إلى دلالة الكلمات، وهذا ما جعل عُلماء اللّغة يبحثون عن مجال عِلميّ يُمكنه دراسة دلالة الكلمات؛ ليقوموا بتحديد الموضوعات فيه، والمعايير اللّازم توافرها ليكون عِلماً يجمع بين اللّغة وعِلم الألسنة، فعِلم الألسنة مُتفرّع لكثير من المجالات العلميّة مِثل: (اللّسانيّات النّفسيّة، والعصبيّة، وغيرها). ويجب الإشارة إلى أنّ عِلم اللّسانيّات كان يهتمّ بصورة الكلمة دون الاهتمام إلى معناها؛ لإحاطة اللّغة بجوانب مُختلفة (اجتماعيّة، وثقافيّة، ونفسيّة، وغيرها)، لكنّه مع بروز عِلم الدّلالة أصبح الخوض في المعنى جزءاً مُهمّاً في عِلم اللّسانيّات، وهذا هو الرّابط الذي يجمع بينهما.

5- أهمية دراسة علم الدلالة:

لدراسة علم الدلالة أهمية كبيرة ترتبط بصورة أساسية بالدور الذي يؤديه علم الدلالة، ويمكن حصر أهم النقاط بما يأتي:1- تعدُّ الألفاظ عنصرًا من عناصر الدلالة؛ لهذا يجب على الباحثين الاهتمام بها في دراساتهم حول اللفظ ومعناه. 2-فهم المعنى ينتج عنه فهم طبيعة اللغة، وذلك لأنّ للمعنى دورًا كبيرًا في تطبيقات علم اللغة والتحليل اللغوي. 3-أهمية المعنى تنتج من اتصال الألفاظ بالتفكير؛ وهذا مهم في بعض العلوم الإنسانية الأخرى، مثل: الفلسفة وعلم النفس. 4-ارتباط دلالة اللفظ في نواحي الحياة المختلفة والتواصل بين الأفراد، ووجود خلل في فهم دلالة اللفظ يؤدّي إلى خلل في التواصل فيما بينهم. 5-تعبير الكلمة عن معناها وهذا هو أصل علم الدلالة وهو فهم المعنى المقصود للكلمة، أي معرفة روح اللفظ، فكما قيل الألفاظ أجساد والدلالات هي الأرواح.

6- محتويات علم الدلالة:

يُركّز علم الدلالة على عدة محاور رئيسية لفهم المعنى وتطوره:

1. **تحديد أنواع الدلالات:** يشمل ذلك تحليل الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية، بالإضافة إلى الدلالات الإيحائية والاجتماعية والتلازمية.
2. **العلاقات الدلالية:** يقوم علم الدلالة بتحليل العلاقات بين الألفاظ مثل:
   - الترادف :اشتراك أكثر من كلمة في المعنى.
   - الاشتراك اللفظي :استخدام كلمة واحدة لمعانٍ مختلفة.
   - الأضداد :تضاد الكلمات في المعنى.
3. **تغير المعنى عبر الزمن:** يهتم العلم بدراسة التطورات التي تطرأ على دلالات الألفاظ وتغيرها عبر العصور.
4. **النظريات الدلالية:** يدرس مجموعة من النظريات الهامة لتفسير المعنى، منها:
   - نظرية الحقول الدلالية :تركز على جمع الكلمات المتقاربة في الدلالة ضمن مجال معين.
   - نظرية التحليل المكوناتي :تقوم بتفكيك الألفاظ إلى مكوناتها الدلالية المميزة لها.
5. **العوامل المؤثرة في المعنى:** يدرس كيفية تأثير السياق (النص، الثقافة، المجتمع) في تحديد المعنى الدقيق للكلمات والجمل.
6. **تطبيقات علم الدلالة:** يمكن تطبيق علم الدلالة في مجالات متعددة، منها:

- **العلوم اللغوية** :لفهم عمق اللغة وتراكيبها.
- **النقد الأدبي** :لفهم دلالات النصوص الأدبية وتأويلاتها.
- **مجالات أخرى** :مثل علم الاجتماع، الفلسفة، وحتى علم النفس.

7- أنواع الدلالات اللغوية:

هُناك العديد من الأنواع للدّلالة عند أهل اللغة، وبرز هذا التنوع نتيجة الاختلاف في الأمور التي تتعلّق في كيفيّة تشكيل معنى الكلمة، فللكلمة الواحدة أبعاد مُختلفة من النّاحية الدّلاليّة في العِبارة الواحدة، وهذا ما دعى عُلماء اللّغة إلى تقسيمها، وهي خمسة أنواع:

1- **الدلالة المعجمية:** هي الدّلالة المُتعلّقة بتعدُّد المعاني للمُفردة الواحدة، وذلك بناءً على سياق الكلام اللّغويّ التي تُوجد فيه، وهذه الدّلالة أحد أهمّ الأسباب في وُجود عدد هائل من المعاني في المُعجم العربيّ،[٤] ومِثال ذلك المعاني المُختلفة لكلمة (تولّى): قال تعالى (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا) بمعنى استولى على الملك وأصبح واليا، قال تعالى: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) بمعنى أعرض، قال تعالى: (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) بمعنى انصرف.

2- **الدلالة الصوتية:** هي الدّلالة التي تعتمد على القيمة الصّوتيّة للحرف الواحد وما يُعبّر عنه، وذَكَر ابن جني في كتابه (الخصائص) العديد من الأمثلة عليها منها الفعلين (قَضَم- خَضَم)، فالفعل الأول يُقصدُ به: (أكل الشّيء اليابس)، أمّا الثّاني فهو: (أكل الشّيء الرّطب)، وقد أدّى هذا الاختلاف في وُجود حرفيّ (القاف-الخاء) في معنى الفعلين؛ لما يراه العرب في حرف الخاء أنّه حرف (رخو)، وأنّ حرف القاف حرف (صلب)، وهذا ما يؤكّده كتاب (الخصائص) الذي يقول إنّ العرب كانوا يأخذون: "مسموع الأصوات إلى محسوس الأحداث"، كما يُذكر في الكتاب نفسه أنّ هذا النّوع من الدّلالات اللّغويّة تشتهر في الحُروف التي تُعبّر عن الأصوات الطّبيعيّة، مِثل: (الخرير، والحفيف، والعواء، كذلك الصّرير، والقلقة، وغيرها. ومثال استعمال دلالة الأصوات الطبيعية هو كلمة "خرّ" المذكورة في القرآن والتي تعني سقط، والخرير هو صوت الماء، دلالة كلمة (خرَّ) هُنا السّقوط، بينما (الخَرير) يُستعمل لصوت الماء، وهُنا تحصل الإضافة الصّوتيّة، فالآية التي بعدها تقول: (وسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ)، وكأنّ صوت الخَرير هُنا هو التّسبيح، فكان للكلمة دلالة صوتيّة هي: (السّقوط + التّسبيح).ومن أمثلة إبدال الأحرف الصوتية: سدّ وصدّ بحيث أنّ الصاد أقوى من السين صوتيا، بناءً على الخصائص الصّوتيّة، تمّ استعمال كلمة (سدّ): لما (يسهل إيقافه وإغلاقه)، مِثل رأس القارورة، الباب، وغيرها، أمّا كلمة (صدّ): (لما يصعب إيقافه وإغلاقه)، مِثل الجبل، والوادي، وغيرها.

3- **الدلالة السياقية:** هي الدّلالة التي يكون فيها المعنى المقصود والمفهوم واحد، فالمُتحدث يقصد معنى، والمُتلقّي يفهمه ذاته من خلال صيغة الكلام، كما ذَكَر تمام حسّان في كتابه (اللغة العربية:

معناها ومبناها) أنّ لهذه الدّلالة مفهوماً يُسمّى بـ (المَقام)، وذلك انطلاقاً من أنّ "لكلّ مقام مقال"، كما أشار كذلك إلى أنّ أهل النّحو من العرب القُدماء كانوا سبّاقين إلى هذا المفهوم، وأنّه ليس (مالينوفسكي) الذي نُسب إليه إيجاد المُصطلح المعروف سياق الموقف (بالإنجليزيّة Contact : of situation)، فبرأي تمام حسّان لم يعرف مالينوفسكي أنّ هذا المُصطلح سُبَق الحديث عنه قبله بقرون عديدة، وأنّ العرب كتبوا فيه كُتباً لم تلقَ العناية الكافية في الدّعاية على المستوى العالميّ كما أُتيحت له، وهذا ما جعل المُصطلح مرتبط به. يجب الإشارة إلى أنّه ذُكِر في كتاب (المُفردات) أنّ سياق الكلام أكثر قُدرة على توضيح المعنى من إيراد اللفظ وحده مُنفرداً، وأنّه في أحيانٍ كثيرة قد لا يستطيع اللفظ إيصال المعنى أصلاً إلّا من خلال النّظر إلى سياق الكلام، الجدير بالذِّكر أنّ على سياق الكلام أن يُعنى بترتيب الألفاظ فيه ترتيباً كافياً يُفضي إلى معنى كامل. ومن أمثلة ذلك: كلمة قريب التي تحتمل معاني المسافة والنسب والمحبة فمثلا عبارة هو قريب إلى قلبي تدل على المحبة، وهُناك العديد من الاحتمالات لمعنى كلمة (قريب)، ولكنْ وُرود كلمة (قلبي) جعلت المعنى أكثر وُضوحاً.

4- **الدلالة الاجتماعية:** هي الدّلالة التي تأخذ الحياة الإنسانيّة وشُعوره بعين الاعتبار في تعيين المعنى المُراد، ويُمكن حصرها بأنّها تطوّر المعنى عبر الزّمن باعتبار تطوّر الإنسان، كما ذُكِر في كتاب (مفاهيم القرآن) لصاحبه السّبحانيّ بعض المعاني الجديدة التي ارتبط وُجودها بتطوّر الإنسان الاجتماعيّ، ومِثال ذلك إيراده لمعاني كلمة (الكلام) التي تطوّرت، فهو عند عوام النّاس مجموعة من الحروف والأصوات التي تخرج من المُتكلّم، وأنّه إذا زالت الأصوات ذهبت صفة الكلام عنه، ولكن مع تطوّر الإنسان اجتماعيّاً توسّع المفهوم إلى الخُطب المنقولة، والشِّعر الذي رُوي عن فُلان، والأحاديث النّبويّة، وغيرها، ومع عدم صدور أصوات عن هذه الأمور إلّا أنّها تُسمّى كلاماً. ويجب الإشارة إلى أنّ الدّلالة الاجتماعيّة للمُفردة تحتاج مدّة -لا بأس بها- لتتطوّر من معنى إلى آخر. مثال كلمة الحريم التي كانت تعني قديما الشيء المحرم مسه أو الدنو منه ثم صارت تعني النساء.

5- الدلالة الصرفية: هي الدّلالة التي تبحث في الأوزان والصِّيغ المُجرّدة ومعانيها المُختلفة، ويعتمد اختلاف هذه المعاني على أصل الكلمة من النّاحية النّحويّة (الإعرابيّة)، ومن النّاحية البنائيّة، وتختلف كذلك بحسب وُجودها ضمن الجملة الاسميّة، أو الفعليّة أو الحرفيّة، وهُناك العديد من المعاني المُستفادة من الصّيغ والأوزان في عِلم الصّرف، مِثل الصّيرورة، والمُطاوعة، والطّلب، ومنها المعاني التي ترتبط بالعلاقات النّحويّة بين المُفردات، مِثل التّعدية، والتّأكيد، وغيرها. ومثال ذلك معنى الوزن فعّل الذي يفيد التعدية: كذب الرجل مقابل كذّبت الرجل الذي يحتاج إلى مفعول به.

6- الدلالة النحوية: هي الدّلالة التي تعتمد على موقع الكلمة المُفردة الواحدة في الجُملة، ومعناها داخلها، فيكون التّركيب الذي تواجدت فيه هذه الكلمة هو من أعطاها هذا المعنى، كما أشار عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه (دلائل الإعجاز) أنّه: "لا يُتصوّر أن يتعلّق الفِكر بمعاني الكَلِم أفراداً

ومُجرّدة من معاني النّحو"، وقد قصد الجرجانيّ بجُملته هذه أنّ اللّفظة لا يكفي أن تَرِد لوحدها لتُعطي المعنى، إنّما وُجودها داخل تركيب ما هو ما يُكسبها معناها. مثال ذلك: أكرم خالد أخاه، هنا خالد فاعل وفي جملة أكرمتُ خالدا يصبح مفعول به فبتغير موقع خالد تغيرت العلاقة النحوية.

8- عناصر الدلالة:

إنّ للدّلالة ثلاثة عناصر رئيسيّة ترتبط فيما بينها تحت علاقة (الدّال والمدلول والنّسبة)، وفيما يلي العناصر الثّلاثة:

- **الدّال:** هو العُنصر الذي يحمل المعنى المُراد، من خلال الإشارة إليه أو التّعبير عنه، فإمّا أن يكون الدّال على هيئة منطوق يُسمع سواء كان لفظاً واحداً أو تركيباً، أو أن يكون على هيئة شكل (صورة) أو إشارة، وقد أشار (دوسوسور) أنّ الدّال هو "الصّورة الصّوتيّة"، وقَصَد في هذه الجُملة أنّ الدّال هو الذي يُحدِث أثراً نفسيّاً عند إدراكه، فهو بذلك يُشبه ما يُحدثُه الصّوت، ولم يقصد هُنا الصوت الفيزيائيّ الحقيقيّ.
- **المدلول:** هو المعنى المحمول والمقصود من الدّال، كما أنّ لكلّ تّركيب لفظيّ (دالّ) معنى خاصّ به يتشكّل في ذهن المُتلقّي.
- **النّسبة:** هي العُنصر الدّلاليّ الذي يجمع بين العُنصر الصّوتيّ اللّفظيّ (الدّال)، وبين العُنصر الذّهنيّ (المدلول)، وتتمثّل في كونها العلاقة التي تربط بينهما، بحيث لا يُمكن لأحدهما الانفصال عن الآخر، وإلّا ما وُجدت الدّلالة.
- أمثلة عن تحليل عناصر الدلالة: نزل المطر اليوم: الدال هو المطر، المدلول هو الماء الساقط من الغيوم، النسبة: الماء الساقط من الغيوم هو المطر.
- أقسام علم الدلالة: قسّم ابن جني الدّلالة إلى ثلاثة أقسام، كما رتّبها من الأقوى حتّى الأضعف كالتّالي:
- الدلالة اللفظية (المعنى): ي الدّلالة التي ترتبط بلفظ الكلمة، فهي دلالة اللّفظ على معنى معيّن أو حدث ما، ومأخوذ من المادّة اللّغويّة التي يتكوّن منها، وعلى سبيل المِثال كلمة (قام) دلالتها على حدث مُعين وهو (القيام)، أي عندما يتمّ ذِكر كلمة (قام) يتمّ استحضار عمليّة (القيام) في الذّهن، وسواء ذُكِرت الكلمة (قام) أو أي صيغة أخرى تتعلّق بلفظها مِثل: (قائم، مُقام، يقوم) سيتمّ استحضار نفس المعنى، لأنّها ألفاظ مُشتقّة من اللّفظ الأصليّ نفسه.
- الدلالة الصناعية (الزمن): هي الدّلالة التي يوضّحُ فيها اللّفظُ زماناً مُعيّناً للحدث الذي يحمله، وقد أشار ابن جنّي أنّ (المصدر) من الصِيغ الدّالة على الأزمنة الثّلاثة، وعلى سبيل المِثال كلمة (القيام) من ناحية الدّلالة اللّفظيّة تعني أنّ (حَدَث القيام) موجود، إلّا أنّه من ناحية الدّلالة الصّناعيّة فهي لكونها مصدراً، تُشير إلى احتماليّة حُدوث القيام في الأزمنة كلّها، لكنْ لو كانت الكلمة (قام) لكانت الدّلالة الصّناعيّة: (هي القيام في الزّمن الماضي).

- الدلالة المعنوية (الفاعل): الدّلالة التي تُعنى بتحديد خصائص فاعل الفِعل (الحدث)، فالسّامعُ لكلمة (قام) يعلم أنّها تدلّ على حَدَث (القيام) الذي يقترن بالزّمن الماضي، ولكنْ لا يُعرف من الذي (قام)!، وعلى هذا النّحو تكون دلالتها المعنويّة أنّ القيام يصلح لكلّ كائن حيّ يستطيع الوُقوف، فلا وُجود لُجملة تُخصِّص هذه الدّلالة وتُحدِّد الفاعل الذي قام بعملية القيام، فلو كانت ضمن جملة مثلاً: (قام المُعلّمون) لكانت الدّلالة المعنويّة: (قيام المُعلمين الذُّكور)، ولو كانت الجُملة: (قامت المُعلّمات) لكانت الدّلالة المعنويّة: (قيام المُعلّمات الإناث)، وهكذا.

أسئلة تطبيقية:

1- اشرح مفهوم الدلالة واذكر الفرق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للدلالة.

2- اذكر ثلاث نقاط توضح أهمية دراسة علم الدلالة في فهم اللغة وكيف تؤثر على التواصل بين الأفراد.

3- ناقش كيف ارتبطت نشأة علم الدلالة بعلم اللسانيات، وما الدوافع التي أدت إلى تطوير هذا العلم بشكل مستقل.

4- كيف ساهم الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو في تطور فكرة الدلالة والمعنى؟ وضح ذلك بأمثلة.

5- أعطِ مثالًا على كيفية استخدام علم الدلالة في تفسير النصوص الدينية، واشرح كيف يساعد ذلك في فهم المعاني.

6- ما الفرق بين دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام؟ قدم أمثلة توضيحية لكل نوع.

7- كيف يرتبط علم الدلالة بعلم النفس؟ قدم مثالاً يوضح هذا الارتباط.

8- ناقش كيف يمكن أن تتغير دلالات الألفاظ مع مرور الزمن، وقدم مثالاً على ذلك من اللغة العربية.

9- لماذا يعتبر السياق مهمًا في تحديد دلالة الكلمة؟ قدم مثالاً يوضح كيف يمكن أن يؤثر السياق على المعنى.

10- اشرح كيف ساهم البلاغيون في دراسة الدلالة، وما هي القضايا التي أثاروها في هذا المجال؟